العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل صلوات الله عليه جاء الى رسول الله فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير

والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تاول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتاكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض وقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته وذات جرعته تريد انهما لا تفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرا قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم والسموات مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه وبقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض عليه هذا التاويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين

Copyright © King Saud University